مكتبة مصر
تقدم
مجموعة محمد وصحبه

باكروا الغدو

إعداد : أمير سعيد السحار



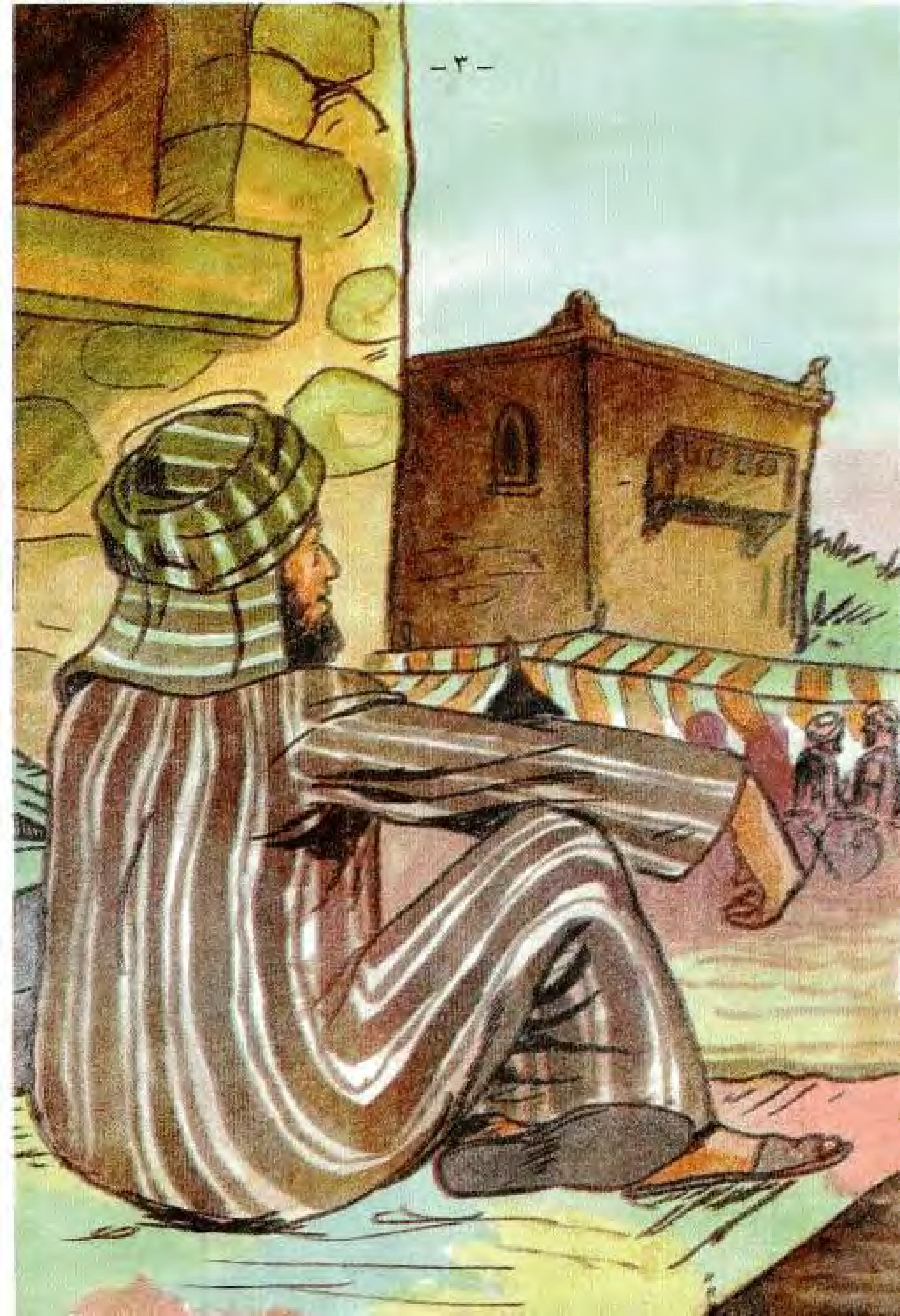
الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي بالفجالة

رسوم
عبد الرحمن بكر

كان أحدُ الصَّحابةِ يبالغُ فى راحةِ بدنِه ، ويخلُـدُ إلى الهدوءِ والدَّعةِ أكـثرَ مما يلزمُ ، ويعتقـدُ أنَّ هـذا لا حـرَجَ فيـه ، ولا مؤاخذةَ عليه . فكان هذا مدعاةً إلى توانيهِ فـى سبيلِ تحصيلِ القوتِ ، والجهادِ فى ميدانِ الحياةِ والعَيشِ . ولمْ يكنْ كإخوانِه نشيطًا جادًّا فى الحياة ، لا يدَعُ سبيلاً إلا يطرُقُه ويسيرُ فيـه ، وكان يدافعُ عن وِجهَةِ نظرِه هـذه بأن لجسمِ الإنسانِ حقًّا عليه، وهذا الحقُّ إراحتُه ، وعدمُ إجهادِه وإتعابِه .. !

وكان لهذا أثـرٌ سيِّىءٌ فى حياتِـه ، التى تدهورَتْ بسببِ الكسلِ ، وعدمِ الإرادةِ الحازمة ، والنَّشاطِ الغامر ، فـإنَّ هـذه الحياةَ ترفضُ كلَّ من لم يجد ، ولا تعطيه شيئًا مما يريد ، ما لم يقاتلْ فى هذه السَّبيلِ ويجاهدُ جهادَ الأبطال..

وهذه سنّةُ اللَّه فى الكون ، لم يختص بها الإنسانَ دون غيرِه من الأحياء ، وإنما شمِلت الحيوانَ والطّير ، وكلَّ ما يجري فى عروقِه دم ، أو ينبِضُ له قلب ..





بيدَ أنَّ هذا الصّحابيَّ الجليل ، كان يشاهدُ زملاءَه فى فَوْرة من الجدِّ وثورةٍ من العمل ، يجدّون ، ويعملون ، وهم فرحـون بهـذا العمـل ، لا يتضجّـرون ولا يَملـون ، وكأنما وراءَ هـذا الأجرُ والثوّابُ الجزيل ، إذن ، فهو فى ناحيةٍ وهم فى ناحية ، وهو فى طريقٍ وهم فى طريق ، تُرَى أىُّ الطريقين خير ؟ وأى الناحيتَيْن أصح ؟

وابتدأ يلاحِـظُ ويقـارن ، ويفهـمُ فـى الحادثـاتِ مـا لم يكـنْ يفهم، فمِن الخطأِ أن يظلَّ بعيداً عن طريقِ الجـادَّة ، بمجـرد رأْيٍ يراه ، لا يراه غيرُه ..

وسَرعانَ ما تكشّفتْ له الحقيقة ، وابتدأ يفهمُ الموقفَ علـى حقيقتِه تمامَ الفهم ، وأنه كان مُخطئًا حينما كان يُعطِي جسمَه من الرّاحةِ والهدوءِ أكثرَ مما يتطلّب ، فيخلُد إلى الكسـل ، ولا يبادرُ إلى فعل الخيرِ والصّلاحِ ، والتّقـدُّمِ إلى ميدانِ الحيـاةِ فـى عزمٍ وقوةٍ ونشـاط ، وأن الدُّنيـا حينمـا حرمَتْـه لَـذاذةَ العيـشِ فلأنهـا لا تُعطِـي سـوى المجـاهِد ، ولا تهَـبُ لغـيرِ الشُّـجاعِ الجَسور..

وإن من قوةِ الإرادة ، أن تصدُقَ رغبتُك فى العملِ مع التَّصميمِ على التّنفيذ ، فلا تتوانَى ولا تتخاذل ، فتجدُ العملَ سهلاً هينا ، لا يكادُ يجدُ منك جهداً يُبذَل فيه ، أو عُسراً يُنفق فى سبيلِه ، وخيرُ وقتٍ لذلك هو المبادرةُ بتنفيذِ الرّأيِ إذا بدا سدادُه ، بلا عجلةٍ أو تهوُّرٍ ، وإنّما بفكرٍ ونظرٍ إلى عاقبتِه ، لئلاّ يورثَك النّدمَ حين لا يفيدُك .

* * *

ووجدَ فى رسولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلَم مثلاً فى النّشاطِ والحركةِ والسّعيِ إلى خيرِ العمل ، مثلاً عاليًا دونَه أىُّ مثل ، فلم يترفعْ وهو النبيُّ العظيمُ عن عملٍ ينالُ به رزقَه ، ولا ترك فرصةً تمرُّ دونَ أن ينتهزَها فى سبيلِ صلاحِ المسلمين وخيرِهم ، ولم يزَلْ هذا دأبَه وسجيّتَه ، حتى فتح اللّهُ سبحانَه وتعالى على أيديهم البلادَ ومكّنَ للمسلمين فى الأرض ، وأصبحوا أعِزّةً بعدَ أن كانوا أذلّة .. وهذا هو حقيقةُ التوكُّلِ على اللّهِ سبحانَه ، وليس معناه التّواكلَ والكسل ، والخلودَ إلى الرّاحةِ التى لا نهايةَ لها ، والهدوءَ الذى هو أشبهُ بالموتِ





منه بالحياة ..

ووقعَ من نفسِه قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلام : « إذا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ فَلا تَنَاموا عَنْ طَلَبِ أَرْزاقِكُمْ » ـ موقعًا عظيما . وأخذ يفكّرُ فى لفظِ الفجر ، ومعناه ، وما يَحملُ من البُكورِ والنّشاط ، وكأنما صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه ، يريدُ أن يجعلَ المسلمَ أوّلَ من يؤذنُ الكون بالحياةِ والنّشاط ، وأنّ نورَه ينبلِجُ مع نورِ الفجر ، فيشرقُ على الوجودِ ضياء ، وإيماناً وبهجة ، وثقةً باللّه الذى خلقه وسوّاه ، فيقبلُ على السُّبلِ التى جعلها موطناً للكسب ، ومنبعاً للخير ، ومكاناً للبركات..

ولا يليقُ بالمسلمِ أن يخلُدَ إلى النّومِ بعد ما تقرَّبَ إلى اللّهِ بالصَّلاةِ وأقبل عليه يُناجيه ، ويطلبُ منه الهدايةَ إلى الصِّراطِ المستقيم ، لا يليقُ به بعدَ ما شرح اللّهُ صدرَه لهذه المناجاةِ السّامية ، والوقوفِ بين يدَيْه ، وإنزالِ الرّحماتِ عليه ، والتّجلّياتِ الّتى تحطّم الحجُبَ ، وتقرّب بينَ العبدِ وبينَ ربّه، حتى يصبحَ بعدَ حين إذا سار فى هذا الطّريقِ عبداً ربّانيًّا يقولُ

للشيءِ كنْ فيكون .. لا يجدُرُ بالمرءِ بعد ما يصلُ إلى هذه الحالِ أن يعودَ إلى النّومِ ثانية ، فتتواثبَ حولَه أشباحُ الخمولِ والكسل ، فتقطعَ أمامه طريقَ السّعيِ والجدِّ والنّشاط ، فيبقى كما هو خاملاً كسلان ، وإذا سعى فلن يكونَ لسعيِه أثرٌ أو ثمرة ، أو خيرٌ يُرتَجَى ..

ولهذا نجحَ المسلمون ، وتسنّموا الذّروة ، ذروةَ المجدِ والعظمةِ والكمال ، وامتلكوا ناصيةَ الحياةِ أعزَّةً أقوياء ، مع العَدَدِ والعُدَد . فما أقوى العزيمةَ حينما تسعى والقلبُ راض ، والضّميرُ مرتاح ، والنّفسُ مطمئنّة . !

وإنَّ للنّفسِ تعلاتٍ وأوهاما ، إذا اندفعَ الإنسانُ فى طريقِها، وانماعَ معها ألقت به فى هوةِ الضّعةِ والذّلة ، وحفرةِ الذُّهولِ والنّسيان ، حيث لا صوتَ له يرتفع ، ولا رأىَ له يُسمع ، ولا أمرَ له يُطاع . وما أسرعَ الشّيطانَ حينذاك يُزيِّنُ له الشّر ، ويحسِنُ القبيح ، فيجعلُ الحظَّ عمادَ الحياةِ ، وأنه لا قيمةَ للسعيِ بجانبِ الحظ ، وكم من إنسانٍ يسعى ويكِد ، ويصبرُ ويجالدُ ، ومع هذا فلا يكادُ يجدُ من وراءِ ذلك ثمرة ،





أو ينالُ مكرُمةً من المكارم ، أو خيراً من الخيور . وكم من كسلانَ متواكلٍ يواتيه الحظ ، فيسبقُ الأوّل ، وينالُ خيرَ ما يرجو .

وقد تتضخّمُ هذه الأوهامُ وتتجسّم فتصبحُ عقيدةً لا ينفعُ معها نقاش ، ولا يفيدُ نصح ، وهنا تكونُ الطّامةُ التى لا تُبقِي ولا تذرُ ، فما أسرعَ شيوعَ الآراءِ الخاملة ، التى تُغرِي بالرّاحةِ ، وتدعو إلى الخمولِ والكسلِ ، والإنسانُ فى هذه الحالِ يتلمّس لنفسِه المعاذير ، ويتمحّل الحيَل ، ويستسيغُ الأباطيلَ كائنةً ما كانت ، ما دامت تغذي هذه الناحيةَ من نواحي النفسِ ، التى هى أساسُ الفشل ، ومَلاكُ الخَيبةِ والهزيمة ، والثُّبور .

ويا ويحَ أمةٍ تسري بين أبنائِها هذه الآراء ، إنها والحالةُ هذه تندفعُ إلى طريقِ الفَناءِ اندفاعا ، لا يدعُ لها فرصةً للتّفكيرِ فى مستقبلِها ومكانتِها بينَ الأمم ، ولن يكونَ لها مقعدٌ إلا فى آخرِ الصُّفوف ، إنْ رحمها اللّهُ من فضلِه ، وقدّر لها أن تعيش.

* * *



وهكذا مضى هذا الصَّحابيُّ الجليل ، يشنُّ الغارةَ على الكسلِ ودَعاتِه ، حتى سَمَتْ به الهِمَّة ، وقوِيَ العزم .

وجاء إليه أحدُ أصدقائِه باسمَ الثَّغر ، ضاحكَ السن ، قائلاً:

ـ ألم تسمعْ قولَ رسولِ اللَّه صلى اللَّهُ عليه وسلمَ فى النَّشاطِ والعزم ، والإقبالِ على الحياةِ والعملِ بقلبٍ واثق ، وفؤادٍ ثابت ؟

قال فى دهشةٍ وعجب :

ـ لا ، لم يكن لى شرفُ الاستماعِ إليه الليلة .

ـ لقد فاتَك خيرٌ كثير .

ـ إذَن فهاتِ حديثَه مأجورًا مشكورا .

ـ لقد قال اللَّيلةَ حاثًّا على النشاط : « بَاكِروا الغُدُوَّ في طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْحَوائِجِ ، فَإِنَّ الْغُدُوَّ بَرَكَةٌ وَنَجاح » .

وأطرقَ الصَّحابيُّ الجليلُ عندما استمعَ إلى قولِ الرَّسولِ الكريمِ ، يُلقيه عليه صديقُه وحميمُه ، وكأنَّما قال هذا القولَ فيه دونَ غيرِه ، وكأنَّه رأى بنورِ اللَّه ما كان يعتملُ فى نفسِه

من أفكارٍ وخواطر ، وخواطر وآراء ، وكأنه علِمَ مبلغَ ما قاسَى فى هذه السبيلِ من عناء وتعب ، ومشقةٍ وجهد ، فقال له عبارةً سامية ، وحكمةً عالية ، أراحت قلبَه ، وطَمأنت فؤادَه .. وطافت روحُه بأفانينَ فياضةٍ من النور ، واعتزم أن يباكرَ الغدوّ دائما ، وهو ما بينَ صلاةِ الصُّبحِ إلى طلوعِ الشمس ، وأن يسعَى فى طلبِ الرّزقِ ما دام فى هذا البركةُ والنجاح .

